جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية

المجلد 17، العدد 1
شوال 1441 هـ / يونيو 2020م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 2616-7166

موقف أدونيس من السنة النبوية من خلال كتابه الثابت والمتحول: دراسة نقدية

محمد راغب جيطان

كلية الشريعة - جامعة النجاح الوطنية

نابلس - فلسطين

تاريخ الاستلام: 2017-06-20 **تاريخ القبول: 2017-10-26**

ملخص البحث:

قامت الدراسة بتجلية موقف أدونيس من السنة النبوية في كتابه «الثابت والمتحول»، والذي اعتبر السنة فكرًا نشأ على فهم القرآن، وأنها تقليد عمل إلهي! وأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- هو مقلّد لمنهجية القرآن في تعامله مع الواقع الذي عاشه. فمحمد -صلى الله عليه وسلم- ابن بيئته، والأمة مأمورة باتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- في منهجية الفهم لا في حيثيات فهم النصوص القرآنية!

وذهب أدونيس إلى أننا مأمورون بتقليد النبي عليه السلام، فنفهم القرآن وفق مقتضيات الواقع المعاصر الذي نعيشه، لذلك اعتبر الضوابط اللغوية، والقواعد الأصولية، وقواعد التفسير ما هي إلا موانع لفهم القرآن وفق الواقع المعاصر، وما وُجدت هذه الأفكار إلا لتخدم الحداثيين لأنه يعتبر من كبار مفكريهم في العصر الحديث.

فقام البحث بنقد موقفه خاصة فيما يتعلق بالسنة النبوية، وبشخصه -صلى الله عليه وسلم- ومن مفهومه الخاطئ للتبعية، فالنصوص القرآنية زاخرة بإثبات مصدرية السنة النبوية، وأنّها مصدر أصيل من مصادر التشريع الإسلامي، فهي وحيٌ من الله تعالى.

الكلمات الدالة: أدونيس، الثابت والمتحول، السنة.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة واليقين، والصلاة والسلام على المعلم الأول، صاحب الأسوة الحسنة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وعلى آله وصحبه أجمعين.

منذ نشأة الإسلام وحلقات المكر تحاك بظلمة ليل، تجاه كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وتجاه حامل الرسالة للنيل من شخصه، وللقضاء على حلقة الوصل بين البشر وربهم، ولرد الناس عن دينهم، فأنّى لهم وقد تكفل الله بحفظ هذا الدين، في قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[1].

ومع تقدم الزمان والتحاق النبي -صلى الله عليه وسلم- بالرفيق الأعلى زادت الطعون الموجهة نحو سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونحو دورها ومكانتها من ناحية الاستدلال. وأمتنا اليوم تعيش في عصر التقدم والانفتاح على عالم ذاق الويلات من حكم الكنيسة الظالم، لتنشأ أفكار سلبية تجاه الكنيسة والدين، وليتأثر العديد من المفكرين العرب بمثل هذه الأفكار! فانبهارهم بالحضارة الغربية، وحملهم لفكرةٍ مفادها أنّ الدين هو مصدر تخلف الحضارات وتأخرها!، ليوظفوها في التعامل مع القرآن والسنة والعلوم التي نشأت عليها، دون تمحيص لها أو دراية بمآلاتها، ومنهم الكاتب، والناقد، والشاعر، علي أحمد سعيد الملقب بـ أدونيس، من مفكري الحداثيين في الواقع المعاصر.

فبث أدونيس سمومه الفكرية في كتبه، حيث استطاع من خلال ما ناله من درجات علمية رفيعة أن يكون مرجعا بكتاباته للحداثيين، يؤصل لهم أهم الأسس والمنطلقات التي ينبغي من خلالها التعامل مع النصوص الشرعية من القرآن والسنة، فقام بقراءة أصول الفكر الإسلامي قراءة تحليلية يتحكم بها في توجيه النصوص نحو قواعده الخاصة المقرره عنده سابقا، ليكون هذا الجهد تأصيلا لفكر الحداثة بطريقة نقدية لأصول الشريعة الإسلامية، ولا سيما السنة النبوية، مسمياً كتابه: «الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب».

وكتابه هذا عبارة عن أربعة مجلدات حَرِصتُ على قراءتها كاملا، مركزاً على موقف أدونيس من السنة النبوية ومنهجه في التعامل معها، وماذا تمثل له السنة فهو شيخ الحداثيين؟!، وعمدت استخدام ألفاظه في العناوين الفرعية، فعرفت به تعريفا مختصرا، ثم تكلمت عن عنوان الكتاب مبينا موضوعه العام، ذاكرا النتيجة العامة التي توصل إليها الكاتب الناقد، ولأنّ هدف البحث بيان موقف أدونيس من السنة النبوية ونقده، أفردت لذلك مطلبا خاصا بيّنت فيه منطلقاته في التعامل مع السنة النبوية، فوسمت الدراسة بعنوان: «موقف أدونيس من السنة النبوية من خلال كتابه الثابت والمتحول، دراسة نقدية».

(1) سورة الحجر: الآية 9

أهمية الدراسة:

يعدّ أدونيس شاعرا وناقدا ومفكرا، وله العديد من الكتب المؤلفة في مجالات متعددة، ومن أهمها كتابه الثابت والمتحول الذي أثار فيه ضجة كبيرة، لطبيعة ما توصل إليه من خلال قراءة أصول الفكر الإسلامي قراءة ناقدة، من كون النبي -صلى الله عليه وسلم- مقلدَ عملٍ إلهي، وأنّ السنة النبوية مثال يجب أن يُحتذى به حسب ما يناسب الواقع المعاصر، فجاءت أهمية الدراسة من وجوب تجلية موقف أدونيس من السنة النبوية في سفره الضخم، وبيان فهمه لتبعية الأمة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ومعرفة مدى قبول موقفه من عدمه حتى لا يغتر به الناس.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. تجلية موقف أدونيس من السنة النبوية، في كتابه الثابت والمتحول.
2. إبراز بعض معالم الحداثة تجاه السنة من خلال الثابت والمتحول.
3. معرفة مآلات فكرة الثابت والمتحول على طبيعة الاعتقاد بمكانة السنة، والاستدلال بها.
4. نقد نظرية أدونيس في التعامل مع السنة النبوية.

مشكلة الدراسة:

1. ما موقف أدونيس من السنة النبوية؟
2. ما هي أصول الحداثة عند أدونيس من خلال الثابت والمتحول؟
3. ما هي مآلات مفهوم «الثابت والمتحول» في كتاب أدونيس على مكانة السنة النبوية؟

محددات الدراسة:

ليس الهدف من البحث تناول كل جزئية تناولها أدونيس في كتابه «الثابت والمتحول» حول الدين الإسلامي، والسياسة، والخلافة، والفِرَق الإسلامية التي وجه الأنظار إليها، وطبيعة المصادر التي أكثر من النقل عنها، وليس الهدف كذلك التحدث عن طبيعة سياقه للتاريخ الإسلامي في العصور الأولى، إنما كان الهدف بيان موقف أدونيس من السنة النبوية، ومعالم التعامل معها في إدارة الفكر الإسلامي المعاصر، حسب أصول الحداثة.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاعي لم أجد دراسة واحدة، سواء كانت بحثًا أو رسالة علمية أو مؤلفًا، قامت بدراسة موقف أدونيس من السنة النبوية من خلال كتابه الثابت والمتحول، مما دفعني ذلك للبحث عن معالم ومنطلقات أدونيس في التعامل مع السنة النبوية من خلال كتابه، فقد رأيت من الواجب دراسة موقفه من السنة ومن شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان أصول التعامل معها وفق نظرة الحداثيين، ثم محاكمتها للقرآن الكريم الذي يعتقد أدونيس بأنه يمثل النص الديني الوحيد!

منهج الدراسة:

قامت الدراسة على ثلاثة مناهج، هي:

1. المنهج الاستقرائي: قام الباحث باستقراء موقف أدونيس من السنة النبوية في المجلدات الأربعة من كتاب الثابت والمتحول، ثم سَبَرَه بحيث جعل الكلام المتعلق بموضوعه في إطار واضح، حتى نستطيع معرفة حقيقة موقف أدونيس من السنة.
2. المنهج التحليلي: بعد تقييم موقف أدونيس من السنة، قام الباحث بتحليل كلامه ليظهر مدى تجاوز أدونيس للحدود الحمراء حول مكانة السنة النبوية، وشخص النبي -صلى الله عليه وسلم-، واستخدامه أصول الحداثة في نقد السنة النبوية بأسلوب خفي.
3. المنهج النقدي: الذي هو لبّ الدراسة حيث قام الباحث بنقد ما ذهب إليه أدونيس وفق منهج أهل السنة والجماعة، بعرضها على القرآن الكريم، والسنة النبوية، علماً بأنّ غالب فقه النقد صدر من الباحث لأنّ الدراسة تعتبر الأولى حول القضايا الجديدة والفلسفية التي يطرحها أدونيس، دون اللجوء إلى النقد بالنصوص العامة، وهذا ما يفسر قلة المراجع التي رجع إليها الباحث، وإن كان روح المنهج النقدي مستمدا من الدراسات التي عنيت بدراسة حجية السنة، وأنها وحيٌ من الله، وهي كثيرة ومشهورة.

خطة الدراسة:

خطة الدراسة عبارة عن مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، وهي:

المطلب الأول: «أدونيس» وكتابه «الثابت والمتحول» في سطور.

المسألة الأولى: أدونيس في سطور.

المسألة الثانية: الموضوع العام لكتاب «الثابت والمتحول».

المطلب الثاني: حقيقة النص الديني، وأصول الحداثة عند أدونيس، في كتابه الثابت والمتحول.

المسألة الأولى: حقيقة النص الديني عند أدونيس.

المسألة الثانية: أصول الحداثة عند أدونيس.

المطلب الثالث: مكانة السنة النبوية عند أودنيس في كتابه الثابت والمتحول، تحليل ونقد.

المسألة الأولى: موقف أدونيس من شخص النبي -صلى الله عليه وسلم-.

المسألة الثانية: موقف أدونيس من السنة النبوية.

المطلب الأول: «أدونيس»، وكتابه «الثابت والمتحول» في سطور

يعتبر أدونيس في أوساط النقد الأدبي والجامعات العربية والغربية، ممن يتابع على فهمه الذي بثه في مؤلفاته، ومنها الثابت والمتحول، فكان هذا المطلب للتعريف به، وبموضوع كتابه الثابت والمتحول، وماذا قصد من عنوان الكتاب، وأثره في تأصيل التعامل مع نصوص الشريعة.

المسألة الأولى: أدونيس في سطور.

هو علي أحمد سعيد إسبر المعروف باسم «أدونيس»، شاعر سوري ولد عام 1930م بقرية قصّابين التابعة لمدينة جبلّة في سوريا، وتبنى اسم أدونيس تيمناً بأسطورة أدونيس الفينيقية. درس في الجامعة اللبنانية، ونال درجة الدكتوراه في الأدب عام 1973م من جامعة القديس يوسف، وكان عنوان أطروحته «الثابت والمتحول».

ثمّ بَدْءًا من عام 1955م تكررت دعوته كأستاذ زائر من قبل جامعات ومراكز علمية وبحثية، في فرنسا وسويسرا والولايات المتحدة وألمانيا، وتلقى عدداً من الجوائز العالمية، وحاز على ألقاب عدة، وتُرجمت أعماله إلى ثلاث عشرة لغة[1].

(1) http://ar.wikipedia.org

المسألة الثانية: الموضوع العام لكتاب «الثابت والمتحول»[1]:

أولا- مفهوم الثابت والمتحول.

عرّف أدونيس الثابت بأنه: «الفكر الذي ينهض على النص، ويتخذ من ثباته حجة لثباته هو، فَهْمَا وتقويمًا، ويفرض نفسه بوصفه المعنى الوحيد الصحيح لهذا النص، وبوصفه استنادا إلى ذلك سلطة معرفية»[2].

وعرف المتحول بتعريفين هما: «الفكر الذي ينهض هو أيضا على النص، لكن بتأويل يجعل النص قابلا للتكيّف مع الواقع وتجدده. أو الفكر الذي لا يرى في النص أية مرجعية، ويعتمد أساسا على العقل لا على النقل!»[3].

ويهدف أدونيس من خلال تعريف الثابت والمتحول أن يصل بالقارئ إلى أنّ كل كتب التراث والقواعد التي تضمنتها في فهم القرآن، هي قضايا يجب التحول عنها إلى الواقع المعاصر الذي يملك القدرة المطلقة على فهم القرآن؛ لأنّ ثبات القواعد ما هو إلا فكر نشأ على فهم النص القرآني، وعلى رأسه الفكر النبوي المتمثل بالسنة النبوية!

ثانيا- موضوع الكتاب:

تناول الكتاب أصول التبعية والتقليد على حسب رأيه – من أصول الفقه، واللغة العربية، والسنة النبوية- التي قَرَأَتْ النص القرآني، بدءاً من الحياة السياسية المتمثلة بالخلافة الراشدة، مروراً بالسنة النبوية وفقهها، متوسعا في الحديث عن تأصيل أصول التبعية، مبينا كيف جعلت الخروج عنها ضربا من الابتداع والتخلف في الدين، ممثلا بذلك كتاب الرسالة للشافعي، الذي أصّلّ به علم الأصول.

ثم تكلم عن أصول الإبداع والتحول ومَثَّل لذلك من الفِرَق التي أخذت منحى فهم النصوص، بعيدا عن تأثير الموروث القديم، من فرقة الإرجاء والقدرية مرورًا بالشيعة، وقوفا عند المعتزلة وفكرها في تقديم العقل على النقل.

واعتبر أيضا أنّ من معالم تأصيل الإبداع والتحول إنكار النبوة والتكلم على القرآن

(1) فيما يتعلق بالشريعة الإسلامية وأصولها، لأن الكاتب تكلم عن الشعر ومظاهر التقليد والإبداع فيه وأن الشعر قد تأثر بالتقليد الديني.

(2) المرجع السابق ج:1، ص:13.

(3) المرجع السابق ج:1، ص 13 - 14

ونقضه!، وذلك تحت عنوان: المنهج التجريبي وإبطال النبوة [1]، ومثَّل لذلك بابن المقفع وابن الروندي وأبي بكر الرازي.

فالقارئ لكتاب الثابت والمتحول يجد نفسه أمام صراع بين جماعتين، كل منهما تستخدم أقصى ما تملكه من وسائل عنف وقتل وتدمير، فحديثه- مثلا- عن تولية الخلافة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكأنهما يعيشان في الغاب وأنّ البقاء للأقوى[2]!، وقد عنونه بعنوان: «الصراع بين الدين والسياسة، أو بين الدين والفكر، أو بين الدين والمجتمع، أو بين الدين والإبداع»!

المطلب الثاني: حقيقة النص الديني، وأصول الحداثة في كتاب الثابت والمتحول

لتجلية موقف أدونيس من السنة النبوية، لا بد من وقفة تحليل لمفهوم النص الديني عنده، ومعرفة الأصول والمنطلقات في تعامله مع نصوص الشريعة من القرآن والسنة، متبعا ذلك بمناقشة نقدية تهدف بالأساس نقض الأسس التي اعتمد عليها، وتعريتها من حيث بيان التعارض في سياق كلامه، وتجليتها من ناحية الحدود التي تجاوزها في التعامل مع الوحي، وكأنه معتبرا إياه كلام بشر!

المسألة الأولى: حقيقة النص الديني عند أدونيس:

عدّ أدونيس القرآن الكريم هو النص الديني فقط، وهذا يظهر في قوله: فالأساس هو الوحي – النص (اللوح المحفوظ) وهذا النص حضوره كامل ودائم[3]. فأورد كلامه هذا، بعد نقده للضوابط التي وضعها الإمام الطبري، وابن حزم، وابن تيمية، لفهم النص القرآني، وعَرْضِه لآرائهم، وأن المعرفة عندهم تتم بالكتاب والسنة والآثار. ليبين أنّ ما سوى القرآن الكريم ليس نصا دينيًّا، وأنّ القواعد التي نصوا عليها ما هي إلا خادمة لزمانهم فقط، ولا تصلح لمن بعدهم، ولا سيما في وقتنا المعاصر! [4].

وفي قوله: « فالثقافة في المجتمع الإسلامي الأول لم تكن تعد في جوهرها وأهم خصائصها اكتسابا، أي أنها لم تكن نتيجة للتفاعل بين النشاط العقلي وحركة الواقع بقدر ما كانت مجموعة معتقدات مصدرها الوحي»[5].

(1) أدونيس، علي بن أحمد: الثابت والمتحول 4ج. بيروت- دار الساقي. ط8 ج:2، ص:75.

(2) أدونيس، الثابت والمتحول ج: 1، ص: 315

(3) أدونيس: الثابت والمتحول ج:1، ص:21.

(4) المرجع السابق ج:1، ص:16.

(5) المرجع السابق ج:1، ص:23.

- **مناقشة ما ذهب إليه:**

1. النص الديني الذي اعتبره أدونيس هو القرآن، هو نفسه الذي يلزمنا بالإيمان بأقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وتقريراته، وأنّ السنة وحي من الله، والأدلة كثيرة، ومنها:

- قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[1]، فالذكر المتمثل بالقرآن، والبيان المتمثل بالسنة النبوية الصحيحة، والفكر المتمثل بإعمال العقل في النصين الشرعيين، كتاب الله وسنة رسول الله، وفق قواعد منضبطة، الأصل فيها هو الشرع.

- ما رواه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-، قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثمّ علموا من القرآن ثمّ علموا من السنة..»[2]، فالسنة النبوية هي علم تعلمته الأمة من محمد -صلى الله عليه وسلم-، كما علمها القرآن الكريم.

2. يتحدث أدونيس عن الحضور الدائم للقرآن، فكيف يكون ذلك دون بيان مجمله، وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه؟ والثلاثة الأخيرة من صلب وظائف السنة كما هو معلوم.

3. يهدف أدونيس من نقده للضوابط العلمية في شتى مجالات العلم الشرعي، إلى تحيين النصوص القرآنية، وجعلها مرتبطة بزمان دون زمان ومكان دون آخر، وأنّ انسحاب الضوابط العلمية الشرعية في فهم النصوص على مر العصور ما هو إلا خطأ يجب إيقاف الأخذ به، ولا سيما في زماننا، وتحيين النصوص القرآنية من أهم أسس الحداثة.

4. حَصْره لمصدر الثقافة في الوحي فقط، وإنكاره ما سوى ذلك، هو إنكار بامتياز مصدرية السنة النبوية للثقافة الإسلامية. وفي هذا خلاف لما هو معهود في أبجديات أيّ ثقافة، وأنها مستمدة من النصوص الدينية، والعرف والعادات المجتمعية.

5. قوله هذا يفسر لنا اعتبار أدونيس السنة النبوية، تقليد عمل إلهي مكرر من قبل محمد -صلى الله عليه وسلم-، ويفسر لنا جعله السنة أصلا من أصول الإتباع

(1) النحل، آية 44

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: رفع الأمانة، ج:8، ص:129، حديث رقم (6497).

والثبات – أي أصلا من أصول التقليد والجمود! وهذا ما سنناقشه في مكانه إن شاء الله.

ويهدف أدونيس إلى إزالة القدسية التي تحيط بالنص القرآني بطريقة ملتوية، فقد أَطلق على هذه القراءة، القراءة التحررية النضالية، أو الاستقلالية الذاتية، بعيدا عن أشكال الهيمنة الخارجية المناهضة للقراءة الحرفية الملتصقة! (1).

المسألة الثانية: أصول الحداثة عند أدونيس من خلال كتابه الثابت والمتحول.

أولا: مفهوم الحداثة:

كثيرة هي تعريفات الحداثة خاصة فيما يتعلق بمنطلقات النظرة إليها، ومن خلال النظر فيها والتعامل مع كتاب الثابت والمتحول، وجدت أقرب التعاريف لأصوله ما عرفه الجابري في قوله: حركة انفصال وتقاطع عن التراث والماضي، لكن ليس لنبذه إنما لاحتوائه وإدماجه في مخاضها المتجدد (2).

ثانيا- أصول الحداثة عند أدونيس، من خلال كتابه الثابت والمتحول.

1. النص الأول هو الوحي – اللوح المحفوظ-.
2. السنة مثالٍ في ذاتها، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- مقلد عملاً إلهيًّا، والأمة الإسلامية أُلزمت بها.
3. تبعية النبي -صلى الله عليه وسلم-، تتمثل بمنهج الفهم للنص القرآني، لا بحيثيات فهمه.
4. الخلاف الذي دار بين صحابة رسول الله في سقيفة بني ساعدة هو بداية التحول والإبداع، ومن خالف كان يمثل البداية لتحيين السنة.

وهذا ظاهر في قوله: ولئن كان اعتماد الصحابة على الرأي، وبخاصة في السياسة، أدى من جهة إلى التباعد بين السنة- المثال- والحياة العملية، فقد عمل من جهة ثانية على تحيين السنة أي تفسيرها بما يلائم الحياة المتجددة(3).

(1) أدونيس: الثابت والمتحول ج:1، ص:24.

(2) الجابري، محمد عابد: التراث والحداثة دراسات ومناقشات، ط1. مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، (1991م)، ص:15.

(3) أدونيس: الثابت والمتحول ج:1، ص: 185

5. أصول فهم القرآن الكريم – من القواعد اللغوية، والتفسيرية، والأصولية - التي اشترطها العلماء إنما هي اجتهاد بشري يصيب ويخطئ، فقد نأتي بفكرة جديدة تزيل النقص.

ويظهر في قوله: اليوم تنطلق الحداثة من افتراض نقص أو غياب معرفي في الماضي، ويُعوّض عن هذا النقص أو هذا الغياب، إما بنقل ما لفكر ما، أو معرفة ما، من هذه اللغة أو تلك، وإما بالابتكار والإبداع[1].

وننوه إلى أن نقد الأصول الخمسة مبسوط في المطلب الثالث، عند بيان موقف أدونيس من السنة.

المطلب الثالث: مكانة السنة النبوية عند أدونيس في كتابه الثابت والمتحول، تحليل ونقد

يعدّ كتاب «الثابت والمتحول» من أمهّات الكتب التي اعتمدها الحداثيون في مراجعهم، لمكانة أدونيس عندهم، ولطريقته في نقد أصول الفهم المرتبطة بغالب علوم الشريعة، من القرآن والفقه، ولنظرته الفلسفية في استبعاد السنة النبوية عن ميدان واقعنا المعاصر وأنها مرتبطة بزمن التنزيل!، فجعل من السنة عملا اجتماعيا مرتبطا بالعصر الذي نشأت فيه؛ لأنها تمثل طريقة فهم النصوص القرآنية في مراعاة المجتمع القرشي، مما انسحب ذلك على شخصية النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأنه أتقن تقليد ومحاكاة الوحي الإلهي.

لذا كان من الواجب علينا تجلية موقف أدونيس من السنة النبوية، ومناقشة أقواله، ونقدها، حتى نكشف مدى الخطأ الذي ارتكبه تجاه السنة، فمكانتها باقية محفوظة بحفظ القرآن.

المسألة الأولى: موقف أدونيس من شخص النبي -صلى الله عليه وسلم-.

اعتبر أدونيس النبي -صلى الله عليه وسلم- أنّه الأول، لأنه الأقرب للقرآن الكريم، مستدلا على ذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم:« يَـؤُمُّ الْقَـوْمَ أَقْرَؤُهُـمْ لِكِتَـابِ اللَّهِ فَـإِنْ كَانُـوا فِـي **الْقِـرَاءَةِ** سَـوَاءً فَأَعْلَمُهُـمْ بِالسُّـنَّةِ »[2]، وبأقوال الصحابة وأفعالهم.

فخير من اتبع النبي -صلى الله عليه وسلم- عند أدونيس- في هذا المقام! - هم الصحابة، بدءاً من أبي بكر رضي الله عنه، ثمّ من امتلك شروط الفقيه ممن وَعِيَ أقوال النبي صلى

(1) المرجع السابق: ج:1، ص 18 - 19

(2) مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري، صحيح مسلم 5 مج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت- دار إحياء التراث العربي، كتاب المساجد- باب من أحق بالإمامة، ج:1، ص:465، حديث رقم(673).

الله عليه وسلم والصحابة، ليصل بنا إلى نتيجة أنّ الأفضل هو الأكثر إتباعا، والأحفظ للسنة هو الأعلم، فهو ليس قولا ولا رأياً [1].

- **مناقشة ما ذهب إليه:**

1. تقديم النبي -صلى الله عليه وسلم- على غيره، لأنّ الله اصطفاه نبيا، ومن مقتضيات النبوة العلم بوحي الله، أكثر مما سواه، لا لمجرد القرب الذي جعل النبي عالما أكثر من غيره.

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يوحى إليه من أمر الله، وما هدايته للأمة وتعاليمه، إلا من نور الله، وليس لمجرد قربه وفهمه للقرآن فقط!

1. ويقصد أدونيس من ذلك أن تبعية الصحابة كانت تبعية عمياء بلا تفكير ولا إبداع، تبعية قائمة على الحفظ والتطبيق!، ونحن نعلم – وبعيدا عن حشد الأدلة – أنّ الواقع العملي التطبيقي للصحابة يثبت عكس ذلك تماما، فالاقتداء بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-وجعلها منهج حياة لا يعني ذلك عدم التفكير؛ بدليل قيادة أبي بكر للخلافة تختلف عن قيادة عمر للخلافة، مع الحفاظ على سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- ومنهجه وتأصيله لمعالم القيادة؛ لأن الإبداع لا يعني التخلي عن الأصالة.

المسألة الثانية: موقف أدونيس من السنة النبوية، في كتابه الثابت والمتحول.

تمثل موقف أدونيس من السنة النبوية في كتابه الثابت والمتحول، في النقاط السبعة التالية:

أولا- السنة فكر نهض على النص القرآني، وفرض نفسه بوصفه المعنى الصحيح للنص فقط. حيث عدّ أدونيس السنة النبوية أصلا من أصول الثابت والإتباع، والثابت عنده فكر وُجد من فهم القرآن، وفرض نفسه، فالسنة فكرٌ فرض نفسه على مدار التاريخ!، كل ذلك عنونه بـ«الاتباعية في السنة والفقه».

فقد عرّف أدونيس **الثابت** بأنه: «عبارة عن فكر نهض على النص، واتخذ من ثباته

(1) أدونيس: الثابت والمتحول ج:1، ص:173 - 175

(2) الشورى، آية 52

- النص- حجة لثباته هو، ويفرض نفسه بوصفه المعنى الوحيد الصحيح لهذا النص، فهو بذلك سلطة معرفية»[1].

مناقشة أدونيس في مكانة السنة النبوية عنده:

بداية لا بد من تجلية موقف أدونيس من السنة النبوية، من خلال كلامه المبثوث في كتابه في أكثر من موضع، حتى نضع تصورا كاملا حول مكانة السنة عنده، فهو يعتبر:

1. السنة عبارة عن أفكار واجتهادات من بنان النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا ما يفسر قول أدونيس عن السنة بأنها تقليد عمل إلهي قام به محمد -صلى الله عليه وسلم-، وكرره[2]، وهي نظرة الحداثيين الذين يعتبرون السنة تجربة بشرية محضة، لا علاقة لها بالقداسة!.

2. السنة تستمد حجيتها من نفسها كونها فكر ثابت لا يجوز الخروج عنه، فهو بذلك جعل نفسه ثابتا.

3. أنّ السنة فرضت نفسها لكونها حاربت غيرها من الأفكار، ومنعتها من الوجود، فكانت هي سلطة المعرفة، علماً بأنه صرح بذلك عندما قال: «المعيار الحقيقي في المعرفة هو الثابت الديني الذي حل محل النص الأول - نص الوحي-، بحيث يتعذر اليوم أن نتجاوزه لكي نقرأ قراءتنا الخاصة، ونكتب نصنا الحديث الخاص، بدءاً من النص الأول[3].

المناقشة:

1. نفي صفة الوحي عن السنة النبوية، هدف أصيل لدى أدونيس ومن حمل فكر الحداثة، فاعتباره السنة أفكارا ناتجة عن اجتهادات، غير مسلّم به لأنّ الكثير من الآيات القرآنية تثبت مصدرية السنة النبوية، وأنها وحي من الله، ففي قوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}، بيان بأنّ ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحي من الله عز وجل [4].

2. كثيرة هي الآيات التي أمرت الأمة بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، فلو كانت

(1) أدونيس: الثابت والمتحول ج:1، ص:13.

(2) أدونيس: الثابت والمتحول ج:1، ص: 182.

(3) المرجع السابق (1 / 18).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج:17، ص:86

السنة النبوية اجتهادا، فكيف يلزم الله عباده باجتهاد بشري على مدار التاريخ، وفي كل مكان؟

فقوله تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون} [1] في إعادة الفعل و«أطيعوا» وإن كان طاعة الرسول مقرونة بطاعة الله تعالى، واعتناء بشأنه - صلى الله عليه وسلم -، وقطعاً لتوهم أنه لا يجب امتثال ما ليس في القرآن، وإيذاناً بأنّ له - صلى الله عليه وسلم -، استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره، ومن ثمّ لم يعد في قوله: {وأولي الأمر منكم} إيذاناً بأنهم لا استقلال لهم فيها استقلال الرسول عليه السلام»[2].

3. دور السنة النبوية في فهم القرآن وتدبره متعدد، فمن السنة ما هو بيان للمجمل، ومنها ما هو تخصيص للعموم، ومنها ما هو تقييد للمطلق، ومنها ما نماذج تطبيقية لقواعد قرآنية في شتى مجالات الحياة[3]، فإذا اعتبرنا السنة تقليد عمل قرآني كما يدّعي أدونيس، فأين هي النصوص القرآنية المقلَّدة في القرآن؟

4. حجية السنة النبوية ثابتة بكتاب الله، ولذا فقد قيّض الله من يحفظها كحفظ القرآن، فهي بيان القرآن المبيّن منها، فحفظها نابع من حفظه[4]، وحجيتها مستمدة من جوهر القرآن الكريم، أما نفي ثبوت حجيتها من القرآن، وأنها فرضت حجيتها غير صحيح، فلو كانت كذلك لما استمرت أكثر من القرون الأولى.

5. اعتبر أدونيس السنة النبوية عائقًا أمام فهم القرآن، وتجاوزنا لها هو الإبداع في تدبر القرآن!، وهذا تجنٍ على السنة، أَأَخْذُنا بالسنة يجمّد العقل ويمنعه من تدبر القرآن؟، أم أنّ السنة نفسها تحارب الإبداع في فهم القرآن واستثماره في بناء حضارتنا؟

فبدون شك، نجد الفكر الحداثي وأصوله، تؤثر على تعاطي أدونيس مع السنة النبوية، فيثير حولها شبهات عديدة. فَهَمُّهم واحد، وهدفهم واحد، وهو فهم القرآن دون ضوابط محددة، بل فتح الباب على مصراعيه.

6. السنة لم تحل محل القرآن الكريم، وهو مما تحاربه السنة أصلا، ولم نجد من

(1) سورة النور: آية 56

(2) الألوسي، شهاب الدين محمود الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج3، ص:63. ينظر: الشربيني، عماد السيد، رد شبهات حول عصمة النبي– عليه السلام- في ضوء السنة النبوية الشريفة ج: 19، ص: 15

(3) انظر: الشافعي، الرسالة ج:1، ص: 64 - 79. الشاطبي، الموافقات ج:3، ص: 230

(4) انظر: الشاطبي، الموافقات ج: 2، ص: 91

ينـادي بذلـك، بـل السـنة مـع القـرآن توأمـان، للقـرآن دور فـي ضبـط نصـوص السـنة النبويـة، وللسـنة دور فـي بيـان القـرآن.

ثانياً: أن السنة مثال – للقدوة والتقليد [1]- والنبي مقلّد عمل إلهي!

قـال أدونيس:«السـنة مثـال يجـب أن يحتـذى، والسـنة ذاتهـا إنمـا هـي فـي أصلهـا تقليـد عمـل إلهـي قـام بـه مرسـل مـن الله، وإذا كان محمـد أول مـن قلّـد العمـل الإلهـي وكـرره، فسـيكون أساسـاً تقـاس عليـه أهميـة الشـخص تبعـا لسـبقه فـي قبـول مـا قبلـه محمـد، وتكـرار مـا كـرره»[2].

المناقشة:

1. ترتيـب أدونيـس للألفـاظ مـا بيـن (مثـال) و(مُقلّـد) و(أهميـة الشـخص)، ليصـل بالقـارئ إلـى أنّ فهمنـا المعاصـر هـو مثـال آخـر نشـأ علـى النـص، وسـيخرج مـن يقلّـده ويهتـم بـه.

وأن تكـون السـنة مثـالا لفهـم القـرآن، وصـف جائـر لمصـدر أساسـي مـن مصـادر الشـريعة الإسـلامية، بـل وهـدم لـكل مـن تتلمـذ عليهـا، ونبـت علـى هداهـا.

2. مـن قـال أنّ مـن مجـال تبعيـة السـنة النبويـة، هـي فـي تقليـد النبـي -صلـى الله عليـه وسلم- فـي فهـم القـرآن؟، وأنّ الفهـم الجديـد هـو اقتـداء لمـا فعلـه النبـي -صلـى الله عليـه وسلم- مـن إنشـاء فكـر جديـد علـى القـرآن!، وفـي هـذا رد خفـي لأصـل السـنة النبويـة، فـكأنّ أدونيـس يقـول: محمـد فكـر فـي القـرآن، ونحـن نفكـر مثلمـا فكـر، ونكـرر فعلتـه!

قلـت: ومنـذ متـى كان مضمـون التبعيـة كذلـك؟، بـل التبعيـة فـي أصـل السـنة وأفرادهـا، لا فـي كيفيـة تعاطـي النبـي -صلـى الله عليـه وسلم- مـع النصـوص القرآنيـة؛ لأنـه بشـر يوحـى إليـه، قـال تعالـى: {قُلْ إِنَّمَـا أَنَـا بَشَـرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَـى إِلَـيَّ}[3].

3. مقتضـى نبـوة النبـي صلـى الله عليـه وسـلم تتعـارض مـع اعتبـاره مقلـدًا للقـرآن، لأنّ جوهـر نبوتـه تتلخـص فـي أمريـن: وحـي متلـو يتمثـل بالقـرآن، ووحـي غيـر متلـو يتمثـل بالبيـان، ووحـي البيـان فيـه تشـريع إلهـي غيـر متوفـر فـي الوحـي المتلـو، فأيـن موضـع التقليـد منـه؟ وأيـن موضـع التقليـد مـن بيـان السـنة لهيئـات الصلاة-مثـلا-؟

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أكبر من أن يكون مجرد مقلد للقرآن، بأفكاره ومنهجه.

(1) هذا ما يقتضيه السياق السابق للجملة. انظر: أدونيس، الثابت والمتحول ج:1، ص: 173 - 181

(2) أدونيس: الثابت والمتحول ج:1، ص: 182 - 183

(3) سورة الكهف: آية 110

ثالثا: السنة النبوية مانعة من غيرها، فهي تحجب غيرها مما يناقضها[1]!

يقصد أدونيس أنّ السنة تمنع وتحجب من بروز فكر يبدع في فهم القرآن!، كما أبدع محمد -صلى الله عليه وسلم-، فهي بذلك حاجب بين العقل المبدع والقرآن الكريم.

المناقشة:

1. وظائف السنة النبوية جلية، ولم نجد من أهدافها إغلاق باب الفهم والتدبر، بل نجد حثّ النبي -صلى الله عليه وسلم-على تبليغ العلم للآخرين عسى أن يكونوا له أوعى، وأكثر فهما وإعمالا للعقل، وأجلّ استثمارا لواقعهم، فقد روى أبو بكرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-قال: «فليبلغ الشاهد الغائب، فربّ مبلّغ أوعى من سامع»[2].

2. هناك فرق بين الفكر الناشئ على النص القرآني وفق أسس علمية، وفكر ينشأ على النص القرآني لكنه يفتقر لأبسط قواعد الفهم ولا سيما اللغوية والشرعية، وأدونيس يقصد بالفكر غير المنضبط بالضوابط العلمية، لأنه اعتبر كتاب الرسالة للشافعي، وقواعد اللغة العربية وشروط التفسير عند الطبري وابن تيمية، ما هي إلا حواجب لمنع إنشاء فكر على الوحي القرآني، وهو كذلك يعتبر السنة على شاكلتهم!

رابعًا- السنة تستمد صحتها المطلقة من كونها تثبيتا لوحي الله.

«وهذا يعني أنها تبديل لما سبقها من عقائد وعادات وتفكير، ومخالفة للراهن كله وإتيان بشيء جديد»[3].

يقصد أدونيس من فهم القرآن وفق الواقع المعاصر بما فيه من فكر ناشئ، هو سنة كذلك، فكما أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم قد فهم القرآن، وبدل الأفكار والعادات والتقاليد التي وُجدت وقت التنزيل، فكذلك نحن في واقعنا المعاصر، فأفكارنا وأفهامنا هي سنة بديلة لما فهمه محمد لوقته وزمانه، وهو الفكر الجديد!

(1) أدونيس، الثابت والمتحول ج:1، ص:183

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ج:2، ص: 216، حديث رقم (1741).

(3) أدونيس، الثابت والمتحول ج:1، ص:1183

المناقشة:

1. يصرّ أدونيس على كون السنة النبوية وُجدت لزمانها فقط، وهذا معارض لمكانة السنة النبوية في القرآن الكريم، والنصوص كثيرة، ومنها قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [1]، فالآية الكريمة خطاب للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وبيانه وحيٌ من الله، مرتبط بالقرآن، ولم يكن واقع التنزيل هو المنشئ للبيان النبوي للقرآن أصالة.

2. وعلى فرض أنّ السنة النبوية تبديل لعقائد وعادات وتفكير قريش خاصة والعرب عامة، فلماذا لم نجد على مدار التاريخ من غيّر عقائد وأفكارٍ أتت بها السنة؟

3. ثمّ الخلط في العبارة مقصود، فكيف يجمع بين العقائد التي هي ثوابت في الفكر الديني، وبين الأفكار التي تنشأ على النصوص القرآنية، التي منها ما هو ثابت وما هو متغير حسب الزمان والمكان والأحوال، ومنها ما هو متعلق بشؤون الناس وأعرافهم وسلوكهم من عادات، ومَن قال له بأنّ السنة مانعة من التفكير، ومن إيجاد عادات لا تتعارض مع جوهر الشريعة، فكرا وسلوكا؟

4. قوله: «تستمد صحتها» أي: صحة فكرها لأنه نشأ من فهم القرآن غايةً في تثبيت دعوته، في عبادة الله، والخضوع له، وهذا جانب من جوانب دور السنة النبوية في تثبيت أركان الدعوة الإسلامية، ولا يعني ذلك الإغفال عن باقي وظائف السنة، ولا يعني أيضا القدرة على الإتيان بمثال آخر فيه من الشيء الجديد ما يحمل في جعبته الكثير من الأفكار الخلاّقة، يفهم النص الأول ويثبته ويحافظ عليه مخالفًا لما سبقه من فهومات وأفكار، ومنها السنة ذاتها.

خامسًا- محاكاة السنة التامة والالتزام بها كان في العبادات، بخلاف السياسة التي ساد فيها الرأي الذي اقترن استخدام العنف لتطبيقه!

لاحظ أدونيس التزام جميع السلف بالعبادات التي وردت في السنة، واقتدائهم بها وتقليدهم لها!، وفي المقابل لاحظ اختلافهم في قضايا الخلافة والسياسة، الذي كانت بذرته في سقيفة بني ساعدة، وساق لذلك ما دار بين صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، خاصة مِن الأنصار، وكيف لجأ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى العنف في تثبيت خلافة أبي بكر، ثمّ خلافته[2]!

(1) النحل آية 44

(2) أدونيس، الثابت والمتحول ج:1، ص: 164 - 165

المناقشة:

1. ما ورد عن رسول صلى الله عليه وسلم في جانب العبادات كان وحيا خالصا من الله تعالى، بخلاف السياسة وإدارة الدولة فقد نص القرآن الكريم على الأصول العامة لها مثل الشورى، وترك تطبيقها لأصحاب كل عصر بما يناسبهم، ومن هنا طبق النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه النصوص العامة المتعلقة بالسياسة بما يضمن الأمن ويجلب الأمان لرعيته، وعلم الصحابة ذلك فهم الأقرب للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهم الأقدر على تكييف الواقع الذي ترجم فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه النصوص واقعا ملموسا، ومن هذا المنطلق كان اجتهاد الصحابة في طريقة اختيار الخليفة، في إطار النصوص القرآنية العامة، لا كما صوره الكاتب على أنه صراع واضح لأفكار متناقضة تطلب استخدام القوة من قبل المهاجرين- القرشيين- لفرض ما يريدون!.

2. لا يُنكر الخلاف الذي حصل في سقيفة بني ساعدة بين بعض صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لكن الخروج بمثل هذه النتائج هو تضخيم لما لا مجال لتضخيمه، فأن نجعل من المشاورات وأخذ وجهات النظر تمرد هو عين الغباء، لأنه كان قبل الوصول إلى رأي جماعي قائم على الشورى، وفي ذلك نكران لفضل صحابة رسول الله وما قدمه الأنصار لحماية الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، ونكران لتلك المنزلة العظيمة التي تحدثت عنها الآيات[1]، ومنها:

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [2].

وفي قوله صلى الله عليه وسلم:« لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيدِه لَو أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ما أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ[3]» [4].

ووجه دلالة هذه النصوص نفي كل المزاعم التي وجهها أدونيس لصحابة النبي -صلى

(1) انظر: حديثه عن خالد بن الوليد وكيف يسوق روايات منها؛ قتل خالدُ بن الوليد لمالك بن نويرة وجماعته رغم أنهم أذّنوا وصلوا، وبعد ذلك تزوج خالد زوجة مالك، فقال عمر بن الخطاب: عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نزا على امرأته! أدونيس، الثابت والمتحول ج: 1، ص: 179.

(2) سورة الحشر: آية 9.

(3) مُدَّ: يقال فلان لا يبلغ مد فلان، أي: لا يلحق شأوه ولا يدرك غايته، والنصيف: النصف. انظر: الخطابي، غريب الحديث ج: 1، ص: 248

(4) مسلم: صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة- بَاب تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رضي الله عَنْهُمْ. ج:7، ص:188، حديث رقم (6651).

الله عليه وسلم-، فكأنه يتكلم عن أناس لم يتتلمذوا على مائدة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولم ينهلوا من علمه وفكره وآدابه.

سادسا: السنة تفسير للقرآن وتبيان له، فلا مجال للقول بالتفسير بالرأي!

اعتبر أدونيس تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للآيات المحكمات، ثم تفسير الصحابة والتابعين من بعده – وهو التفسير بالمأثور- مانعا لتفسير القرآن بالرأي، ولا أدلّ على ذلك من شروط الإمام الطبري في تفسير القرآن.

ثم ساق النتيجة بقوله: «وهذا يعني أنه لا يجوز القول بالرأي في تفسير كل ما يتصل بالدين، وكل قائل برأيه مخطئ وإن أصاب» [1]!

المناقشة:

1. مما لا شك فيه أنّ من وظائف النبي صلى الله عليه وسلم هو تفسير القرآن الكريم، وتبيان المشكل فيه وتوضيح معنى آياته، لكن حصر تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- للآيات في مجال المحكمات تحكم عقلي بلا دليل، بل هو مخالف للواقع فكم هي الآيات التي فسّرها النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن؟، ثم كم نسبة الآيات المحكمات من ذلك؟ إلا إذا قصد من ذلك: البيان النبوي لمجمل آيات الأحكام، وتقييد مطلقها، وتخصيص عامها، فكأنه يقول: حتى الآيات المحكمات هي موضع اجتهاد ونظر، ولا مانع من النظر فيها وفق ما يناسب واقعنا المعاصر! هي أبجديات الحداثة التي تهدف إلى عصرنة فهم النصوص الدينية.

2. من قال إن التفسير خارج ما فسره النبي مرفوض؟، بل قَصَدَ الإمام الطبري من شروط التفسير، أنه من أراد تفسير القرآن يجب عليه الالتزام بضوابط التفسير، خاصة علم اللغة العربية التي نزل بها القرآن، من تأويل عربيته، وإعرابه.

3. قوله: لا يجوز تفسير كل ما يتصل بالدين وإن أصاب، غير صحيح، والدليل تفسير الإمام الطبري وغيره لآيات من كتاب الله بالرأي، ضمن قواعد اللغة وما يقتضيه السياق، وما ينسجم مع الأصول العامة للقرآن الكريم، والسنة النبوية، ومقاصد الشريعة.

(1) أدونيس، الثابت والمتحول ج:1، ص: 187.

لكن الأهم ماذا يريد أدونيس من اعتراضه على الإمام الطبري وابن حزم وابن تيمية في حديثهم عن ضوابط فهم القرآن الكريم[1]؟

يريد أن يفتح بابَ التأويل والنظر في كتاب الله على مصراعيه، ويجعل للحداثيين دليلا شرعيا من القرآن وسلوك السلف في فهم القرآن، لأنّ الضوابط التي ساقها الأئمة هي من صنع البشر ومن تقليدهم لما ورثوه من علم السابقين، «وهي الثابت النظري الديني الذي يتخذ من نفسه معيارا للمعرفة العامة، بحيث أن ما يخالفه في أي ميدان معرفي يوصف بفساد الرأي، حتى أصبح الثابت النظري نصا ثابتا حل محل النص الأول- الوحي- !»[2].

سابعا: اتباع السنة النبوية تمليها الظروف الاجتماعية المتعلقة بكل عصر!

قصد أدونيس أنّ معيار تبعية السنة النبوية من عدمه، وصلاحية الفكر الذي نشأ على القرآن زمن التنزيل من عدمه، هو الواقع الذي تعيشه الأمة، وما تمليه طريقة الفهم، فبمجرد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- وُجد واقع جديد أفرز لنا اجتماع السقيفة وهي فترة زمنية لا تذكر بالنسبة إلينا، فأصبحت الفهومات في صراع وقطعا الأقوى هو الذي يفرض فهمه، فكان لقريش في إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي الانتصار الأول، بينما أخذت الطبقات الأخرى تستند إلى فهم جديد للدين متأثرة بظروفها الاجتماعية وشروط حياتها إن لم يكن نابعا منها، وفي هذا الفهم تتمثل جذور التحول[3].

المناقشة:

1. النصوص القرآنية هي التي توجب اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم-، وليس الواقع الذي تعيشه الأمة، فالأصل في اتباعه عقائدي، بدءاً من الإيمان به، وصولا لتطبيق منهجه.

2. لا تنكر الشريعة دور الواقع في فهم النصوص القرآنية، لكن أن نجعل الواقع هو الحكم الفصل على مدى اعتبار الفهم النبوي صالحا لزمان دون آخر، فهو مرفوض، لأنّ الواقع ليس معيارا منضبطا، بل من الإعجاز في القرآن الكريم هو احتضان النصوص لجميع الظروف والوقائع والأحداث، سواء الطبيعية أو الاضطرارية، فالكثير من النصوص القرآنية هي نصوص عامة.

(1) أدونيس، الثابت والمتحول ص: 15 - 18

(2) المرجع السابق ج:1، ص: 18.

(3) المرجع السابق ج: 1، ص: 315 - 316

3. تحييـن السـنة النبويـة هـدف الحداثييـن، ولا غرابـة فـي بلـورة فكريـة لذلـك مـن قبـل أدونيـس فـي كتابـه الثابـت، فـأن يكـون العصـر هـو الحكـم الفصـل علـى النصـوص الدينيـة هـو مقصـد أصيـل فـي فكـر الحداثييـن.

4. توصيـف الفهومـات التـي نشـأت حـول توليـة الخليفـة بعـد النبـي -صلـى الله عليـه وسـلم- بأنهـا صراعـات فهـم مجحـف، وغيـر صحيـح، إنمـا هـي إعمـال للنصـوص العامـة المتعلقـة بتوليـة الخليفـة ومبايعتـه.

الخاتمة:

أهم النتائج:

1. حَصْر أدونيس للنص الديني بالقرآن الكريم، هو ردٌ للسنة النبوية.

2. اعتبـر أدونيـس الخـلاف الـذي حصـل بيـن الصحابـة فـي سـقيفة بنـي سـاعده، بدايـة التحـول والإبـداع السياسـي، ومـا تعيشـه الأمـة اليـوم هـو عيـن التخلـف والاتبـاع والتقليـد!

3. من أصول الحداثة عند أدونيس في كتاب الثابت والمتحول:

أ. السنة النبوية هي أفكار من بنان محمد عليه السلام، نشأت على النص الأول!

ب. السنة النبوية مثال للقدوة والتقليد، وما محمد إلا نبي يقلد عملا إلاهيًّا!

ج. تستمد السنة صحتها وقوتها من هدف وجودها، وهو تثبيت الوحي القرآني!

د. السنة تمثل البديل الأول للعقائد والعادات والأفكار التي وُجدت زمن التنزيل!

ه. الالتزام بتفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- للقرآن، يقتضي رد التفسير بالرأي!

و. الواقع المعاصر هو الحكم الفصل في اتباع السنة النبوية من عدمه!

ز. فهم النص الأول –القرآن الكريم- يكون وفق ما ينسجم مع متطلبات الواقع!

ح. طريقـة فهـم النبـي للقـرآن الكريـم، هـي مجـال تبعيتنـا للنبـي محمـد -صلـى الله عليـه وسـلم-، وليـس اتباعـه فيمـا فهمـه مـن أفـكار!

أهم التوصيات:

1. دراسة كتاب الثابت والمتحول لبيان الموقف الحقيقي لأدونيس من القرآن الكريم، وأصول الفقه، والتاريخ الإسلامي.
2. تحذير القراء من أمثال هذه الكتب لأنها تحمل في الظاهر الخير، لكن الشر يكتنف كل جنباتها.
3. تسليط الضوء على مثل هذه الكتب والعناية بنقد أفكارها جيًّدا، لكشف ما فيها من تناقض.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أدونيس، علي بن أحمد. الثابت والمتحول 4ج. ط8. دار الساقي. بيروت.
2. الألوسي، شهاب الدين محمود الحسيني. (1270هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. 16ج. تحقيق علي عبد الباري عطية. (1415هـ). درا الكتب العلمية. بيروت.
3. البخاري، محمد بن إسماعيل. (256هـ). صحيح البخاري. تحقيق د. مصطفى البغا. ط3. (1987). دار ابن كثير. بيروت.
4. الجابري، محمد عابد (1991م). التراث والحداثة دراسات ومناقشات. ط1. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. (1991م)
5. مسلم، أبو الحسين القشيري(261هـ)، صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
6. القرطبي، محمد بن أحمد(671هـ)، الجامع في أحكام القرآن. تحقيق: سالم البدري. ط2. (2004م). دار الكتب العلمية. بيروت.
7. الشربيني، عماد السيد. (2002م)، «رد شبهات حول عصمة النبي– عليه السلام- في ضوء السنة النبوية الشريفة». رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية أصول الدين، جامعة الأزهر. القاهرة. مصر.
8. الشافعي، محمد بن إدريس(204هـ). الرسالة. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الكتب العلمية. بيروت.
9. الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (790هـ). الموافقات. تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. ط1. (1997م). دار ابن عفان.
10. الخطابي، حمد بن محمد البستي. غريب الحديث. تحقيق عبد الكريم العزباوي. (1402هـ). جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
11. http://ar.wikipedia.org

Transliteration Arabic References: **الترجمة الحرفية لمصادر ومراجع اللغة العربية:**

1. Adunis Aly bin Ahmad. Ath-thabit walmutahwwil. 4 j. t. 8. dar as-saaqy. Bairout.
2. Al'alusy shihabuddeen Mahmoud Alhusiny. (1270 h). Rouh alma'any fi tafsir alquran al'azeem wa as-sab'e almathaany. 16 j. tahqeeq Aly Abd Albary Attia. (1415 ha). dar alkutub al'eilmiah. bairout.
3. Albukhary Muhamad bin Ismaeil. (256 h). sahih Albukhary. tahaqeeq. Mustafaa Albugha. t. 3. (1987). dar Ibn kathir. bairout.
4. Aljabiry, Muhamad Aabid (1991 m). At-turath walhadathah dirasat wa munaqashaat. t.1. markaz dirasat alwahdah al'arabiah. bairout. (1991 m)
5. Muslim, Abu Alhussain Alqushairy (261 ha), sahih muslim. Tahqeeq: Muhamad Fu'ad Abdelbaqy. dar 'ihya' at-turath al'arby. bairout.
6. Alqurtuby, Muhamad bin Ahmad (671 h) aljam'e fi 'ahkam alqur'an. Tahqeeq: Salim Albadry. t. 2. (2004 m). dar alkutub al'ilmiah. bairout.
7. Ash-shirbeeny Emad As-sayed. (2002) «radd shubuhat hawl eismat an-nabie – 'alaihi as-salam- fi daw' as-sunnah an-nabawiah ash-shareefah». risalat dukturah ghayr manshurah. kulliyat 'usoul ad-deen jami'at al'azhar. alqahirah. misr.
8. Ash-shaafi'ey Muhammad bin Idrees (204 h). alrisalah. tahqeeq Ahmad Muhamad Shakir. dar alkutub al'ilmiah. bairout.
9. Ash-shaatiby Ibrahim bin Mussaa. (790 h). Almuwafaqaat. Tahqeeq Mashhour bin Hassan Aal Salman. t. 1. (1997 m). dar Ibn Affan.
10. Alkhattaby Hamad bin Muhammad Albisty. ghareeb alhadeeth. tahqeq Abdelkareem Al'azabawy. (1402 h). jami'at 'Ummulquraa. makkah almukarramah.
11. http://ar.wikipedia.org

Adonis's Attitude Towards the Prophet's Sunnah (Traditions) in His book The Static and the Dynamic: A Critical Study

Mohamad Ragheb Jetan

Faculty of Shariah - An Najah National University

Nablus - Palestine

Abstract:

This research deals with Adonis's attitude towards Sunnah in his book "The Static and the Dynamic". He considered Sunnah as a concept derived from understanding Quran, imitating Allah's work, and the prophet Mohammad PBUH as an imitator of the Quran methodology in dealing with reality. Because Mohammad PBUH is influenced by the environment where he was grown up and the nation is commanded to follow him in understanding this methodology, not in understanding Quranic texts. Adonis added that we are ordered to imitate the prophet (PBUH) to understand the Qur'an according to the modern conditions we are living in. So, linguistic disciplines, fundamental rules and the rules of interpretation are all considered as obstacles to understanding the Qur'an in accordance with modern reality. They are only meant to support modernists like Adonis who he is considered one of the thinkers of the modern age. This research criticizes his attitude towards the prophetic Sunnah and his impression about the prophet (BPBU), as well as his misunderstanding of Al-Taba'yah (dependence), because Qur'anic verses are replete with confirmation of the referential value of the Al-Sunnah and it is a major source of Islamic Legislation since it is a revelation from Allah .

Keywords: Adonis's, The Constant and the Unstable, Sunnah.